المعالم الأثرية لمدينة إبّ فى ضوء المخطوطات العثمانية " دراسة أثرية فنية "

The archaeological monuments of the city of Ibb in the light of Ottoman manuscripts" Art archaeological study"

د/ أمانى محمد صبرى عبد الغفار السيد الدسوقى

ملخص البحث :

يتناول البحث دراسة المعالم الأثرية لمدينة إب اليمنية من خلال تصاوير المخطوطات العثمانية ، حيث حكم العثمانيون اليمن فترتين امتدت الأولى قرناً كاملاً (٩٤٥ – ١٠٤٥ هـ / ١٥٣٨ – ١٦٣٥ م) ، وكانت الثانية بين عامى (١٢٦٤ – ١٣٣٧ هـ / ١٨٤٨ – ١٩١٨ م) .

The research deals with the study of the monuments of the Yemeni city of Ibb through images of Ottoman manuscripts, where the Ottomans ruled Yemen for two periods, the first lasting a century (٩٤٥-١٠٤٥ Ah/١٥٣٨-١٦٣٥ AD), and was the second between (١٢٦٤-١٣٣٧ Ah /١٨٤٨-١٩١٨ AD).

الكلمات الدالة : اليمن ، تصاوير ، إبّ ، مخطوطات

مقدمة :

مدينة إبّ : إب بالفتح والتشديد ، هى بلدة باليمن وقيل بكسر الهمزة واب مكسورة الهمزة من قرى ذى جبلة باليمن ، ويقول أهل اليمن بالكسر ولا يعرفون الفتح[١] .

تقع مدينة أبّ جنوب مدينة صنعاء وتبعد عنها ١٩٣كم ، وترتفع عن سطر البحر ٢٠٥٠م تقريباً ، وهى الآن عاصمة محافظة إب وتتبها العديد من المناطق والوديان الخصبة ، وتسمى إب الخضراء[٢] ، حيث تتمتع بمناخ معتدل صيفاً وشتاءً وتتساقط فيها الأمطار صيفاً ، لذلك تكسو منطقتها المراعى الخضراء صيفاً ، ويحيط بمدينة إبّ جبال مهمة وهى جبل بعدان من جهة الشرق ، وجبل التعكر من جهة الجنوب ويفصل بينه وبين المدينة وادى ميتم ، وجبل المِسوَادِ من جهة الجنوب الشرقى بين بعدان والتعكر ، أما من جهة الغرب فتطل المدينة على وادى الظهار، ومن جهة الشمال تطل المدينة على وادى السحول[٣] .

وقد كان لمدينة إبّ دوراً بارزاً خلال العصر الإسلامى من تاريخ اليمن ، وخاصة أنها كانت مطمعاً للأتراك العثمانيين ، وقد شهدت المدينة وماحولها العديد من المعارك بين الأتراك العثمانيين واليمنين ، والتى انتهت باحتلال العثمانيين دون قتال[٤] .

كما كانت مدينة إبّ أرضاً خصبة للعلوم والمعرفة والتعليم ، حيث أصبحث مركزاً علمياً وتعليمياً عبر تاريخ اليمن الإسلامى والحديث[٥] ، وتذخر مدينة إبّ بالعديد من المنشأت المعمارية الدينية والمدنية والحربية ، وقد أمدتنا تصاوير المخطوطات العثمانية بنماذج لبعض المنشأت المعمارية بمدينة إبّ :

المبحث الأول : الدراسة الوصفية

لوحة (١) غزو بهرام باشا لحصن حب [٦]

المخطوط : شاهنامة سليم خان ورقة (٩٠a) ، المؤرخ بعام (٩٨٨ هـ / ١٥٨١م)

مكان الحفظ : متحف طوبقابي سراي باستانبول تحت رقم (٣٥٩٥ .A)

الدراسة [٧] : توضح الصورة غزو بهرام باشاً لحصن حب (بمدينة إبّ) ، ويشاهد الفنان قد استطاع أن يعبر عن الطابع الصحرى لمدينة إبّ ، حيث عبر عن المنطقة المحيطة بالحصن برسم مجموعة من التكوينات الصخرية ، استخدم الفنان فى رسمها اللون الأصفر والأزرق الفاتح والأخضر الفاتح ، بينما حددت الحواف العليا باللون الأسود ، أما حصن حب فقد نفذه الفنان بمؤخرة الصورة ، وهو فى تخطيطه مربع الشكل ، وله أسوار حجرية ضخمة يتوجها صف من الشرافات الحربية ، نفذها الفنان باللون البنى بدرجتيه ، يتخللها أربعة أبراج دفاعية ، استخدم الفنان فى رسمها الألوان البنى والأخضر والنبيتى ، وفتح بها فتحات مزاغل طولية الشكل ، كما فتح بأسوار الحصن فتحات مزاغل طولية الشكل ، وقد توجت هذه الأبراج بقمم هرمية الشكل ، نفذها الفنان باللون الأخضر ، ويعلو كل منها قائم معدنى أصفر اللون ، وخلف أسوار الحصن يشاهد بعض المنشأت السكنية الخاصة بإقامة الجند ، تمتد جميعها بإرتفاع طابق واحد ، وسقفت بأسقف مستوية ، ويشاهد ألسنة النيران قد اشتعلت بأحد منشأت القلعة ، والتى نفذها الفنان باللون الأصفر ، كما يشاهد خروج سكان ونسائهم يحملون أطفالهم ، فى حين يشاهد الجنود العثمانين شاهرين سيوفهم للدلالة على انتصارهم ، وقد رفع أحدهم العلم العثمانى ذو اللون الأحمر .

وفى يسار مقدمة الصورة يشاهد بهرام باشاً [٨] جالساً داخل خيمة قد أقيمت له ، نفذها الفنان باللون الأحمر ، مفتوحة من الأمام ، وتزينها مجموعة من الشرائط ، استخدم الفنان فى رسمها اللونين الأزرق والأصفر ، ويليها ظلة حمراء اللون وخيمة صفراء ، كما يشاهد علم كبير أحمر اللون ، أما بهرام باشاً فقد رسمه الفنان جالساً على كرسى أصفر اللون ، رسم بوجه ثلاثى الأرباع ذو لحية مشذبة وشارب أسود اللون ، يغطى رأسه عمامة بيضاء اللون ، تعلوها ريشة بيضاء اللون ترتفع لأعلى ، ويرتدى فوق بدنه قفطان أبيض اللون ، تعلوه فرجيه صفراء اللون ، وإلى الخلف منه وفى أقصى يسار مقدمة الصورة رسم الفنان اثنين من خواص السلطان ، حليقواً اللحية والشارب ، ويغطى رأسهما عمائم بيضاء اللون ، وقد تشابهت ملابسهما وإن إختلفت فى ألوانها مابين الأحمر والأزرق ، ومكتوفى الأيدى ؛ إحتراماً وتقديراً لبهرام باشاً ، وبمواجهة بهرام باشاً رسم الفنان مجموعة من الجنود العثمانين ، كما رسم الفنان فى أقصى مقدمة الصورة مجموعة من الجنود العثمانين وبمواجهتهم أحد القادة رسم بوجه جانبى ذو شارب أسود اللون ، يرتدى فوق بدنه قفطان أزرق اللون ، تعلوه فرجيه حمراء اللون ، ويغطى رأسه عمامة بيضاء اللون ، كما يشاهد أيضاً مجموعة من الجنود فى أقصى يسار مقدمة الصورة ، مكتوفين الأيدى ؛ إحتراماً وتقديراً لبهرام باشاً ، وعلى الرغم من تشابه ملابس هؤلاء الجنود

إلا أن الفنان حاول إحداث بعض التنوع عن طريق إختلاف الألوان مابين الأحمر والأخضر والأزرق والأسود والبنى .

ويشاهد فى يمين مقدمة الصورة مجموعة من الفرسان العثمانين ممتطين صهوات جيادهم ، ويشاهد بعضهم يحملوان حراب طويلة سوداء اللون ، وقد رسم الفنان مجموعة من الشجيرات خضراء اللون تنبت فوق قمم التكوينات الصخرية ، وقد وزعها الفنان بشكل متناسق .

لوحة (٢) استيلاء سنان باشا[٩] على حصن التعكر .

المخطوط : مخطوط تاريخ فتح اليمن [١٠] ، المؤرخ بعام (١٠٠٢هـ / ١٥٩٤م)

مكان الحفظ : مكتبة جامعة استانبول تحت رقم (T ٦٠٤٥)

الدراسة : توضح الصورة استيلاء سنان باشا على حصن التعكر الذى ارتبط اسمه بجبل التعكر[١١] الشهير فى اليمن ، وقد رسم الفنان حصن التعكر المنيع فى مؤخرة الصورة على قمة الجبل محاط بسور مدعم بمجموعة من الأبراج ذات القمم الهرمية ، نفذها الفنان باللون الأسود والأبيض لإبراز الضلوع ، وزودت هذه الأبراج بمجموعة من السقاطات بواقع ثلاثة سقاطات فى كل برج ، ويعلو قمم هذه الأبراج مجموعة من الأعلام ذات اللون الأحمر ،ويتوسط البرج الأوسط كتلة المدخل وهى عبارة عن فتحة باب معقودة بعقد نصف دائرى ، بداخلها اتنثين من جنود الإنكشارية رسمهما الفنان بوجه جانبى ، وقد تشابهت ملابسهما وإن إختلفت فى ألوانها ، ويغطى رأس كل منهما غطاء الرأس المميز لهذه الفئة من الجند وهو عبارة عن شريط نحاسى يلتف حوله عمامة لها طرف يرتفع إلى أعلى يشبه كأس الشراب ، كما يظهر مجموعة من الجنود العثمانين خلف سور الحصن ، وقد اختفت أجسامهم خلف السور ، وقد تنوعت أغطية رؤوسهم مابين عمائم بيضاء اللون وخوذات نحاسية ، كما يظهر أحدهما يغطى رأسه غطاء رأس الإنكشارية .

ويشاهد فى مقدمة الصورة السلطان العثمانى جالساً على عرشه والذى أقيم له داخل خيمة مخروطية الشكل تبدو مفتوحة من الأمام ومزخرفة بزخارف بسيطة رسمها الفنان باللونين الأحمر والأزرق ، كما فرشت الأرضية بسجادة كبيرة نفذها الفنان باللونين الأسود والوردى ، وقد رسم الفنان السلطان العثمانى بوجه ذو وضع ثلاثى الأرباع بلحية مشذبة وشارب طويل واضعاً يده اليمنى فوق فخذه ورافعاً يده اليسرى إلى الأمام متحدثاً مع ثلاثة من وزرائه ، يرتدى فوق بدنه قفطان بأكمام طويلة يصل فى طوله إلى القدمين رسم باللون الأصفر ، ويغطى رأسه عمامة كبيرة بيضاء اللون تعلوها ريشة سوداء اللون ترتفع لأعلى .

وعلى يسار السلطان فى أقصى يمين الصورة رسم الفنان مجموعة من خواص السلطان ، مكتوفى الأيدى ؛ احتراماً وتقديراً للسلطان حليقو اللحية والشارب ، ويغطى رأس كل منهم عمامة بيضاء اللون ، وعلى يمين السلطان رسم الفنان ثلاثة من الوزراء ، وقد تشابهت ملابسهم وإن اختلفت

فى ألوانها ، ويرتدى كل واحد منهم فوق بدنه قفطان داخلى بأكمام طويلة وأساور ضيقة عند المعصمين ، تعلوه جبه بأكمام قصيرة مفتوحة بكاملها من الأمام تصل فى طولها إلى القدمين ، ويغطى رأس كل منهم عمامة كبيرة بيضاء اللون ، ويلى رسم الوزراء مجموعة من الجنود من حملة الأعلام ، وقد تشابهت ملابسهم وإن اختلفت فى ألوانها مابين اللون الأحمر والزيتى والرصاصى الفاتح .

وقد رسم الفنان خلف خيمة السلطان مجموعة من الخيام والظلات ، بالإضافة إلى رسم التحصينات الدفاعية المؤقتة ، كما رسم الفنان خلف المعسكر مجموعة من المدافع قد وجهت فوهاتها نحو الحصن ، وعلى يمين ويسار منتصف الصورة رسم الفنان مجموعة من الجنود العثمانين وفرق الإنكشارية ، وقد اختفت أجسامهم خلف رسم التلال ، وقد ظهروا يحملون الأعلام والتى رسمها الفنان باللونين الأحمر والأصفر ، ويغطى رؤوسهم عمائم بيضاء اللون وبعضهم يرتدون خوذات " المغفر " ، كما إرتدى جنود الإنكشارية غطاء الرأس المميز بهم ، وقد رسم الفنان فوق قمم التلال مجموعة من الشجيرات الصغيرة موزعة بشكل متناسق نفذها باللون الأخضر ، وتشتمل الصورة بأعلاها على كتابات باللغة التركية نصها كالتالى : " يمنه تابع تعكر قلعه سى فتح و ضبط اولندوغيدر
تعكر اولوب خلاص تريد يددن اهل اسلام قيلدى شامخ وطن " .
وترجمتها إلى العربية :
السيطرة على قلعة تعكر التابعة لليمن و فتحها
خلصت تعكر من يد الجبناء فظلت وطناً شامخاً لأهل الإسلام [١٢] ، وتوجد علاقة بين النص وموضوع الصورة حيث أوضحت سيطرة العثمانين على قلعة التعكر ، كما تخلو الصورة من الجنود اليمنين المدافعين القلعة .
وقد استطاع الفنان التعبير عن المنطقة الجبلية الوعرة التى تحيط بالحصن وكذلك جبل التعكر ، الذى يعلوه الحصن كما هو واضح فى لوحتى رقم (٦ ، ٧)

لوحة (٣) الفتح العثمانى لمدينة إبّ .

المخطوط : مخطوط تاريخ فتح اليمن المؤرخ بعام (١٠٠٢هـ / ١٥٩٤م)

مكان الحفظ : مكتبة جامعة استانبول تحت رقم (T ٦٠٤٥)

الدراسة [١٣] : توضح الصورة الفتح العثمانى لمدينة إبّ ، حيث يشاهد فى يمين مقدمة الصورة معسكر القائد العثمانى سنان باشاً يتكون من مجموعة من الخيام ذات القمم المخروطية الشكل ، ويحيط بالمعسكر سور من القماش السميك ذو اللون الأبيض مدعم بقوائم معدنية ، ويشاهد خلف سور المعسكر مجموعة من المدافع قد وجهت فوهاتها نحو الحصن ، أما خيمة سنان باشاً والتى تبدو فى مقدمة المعسكر ، فهى أكبر حجماً من باقى الخيام ، نفذها الفنان باللون الأحمر ، مفتوحة من الأمام

، وتزينها مجموعة من الشرايط استخدم الفنان فى رسمها اللونين الأحمر والأصفر ، وفرشت أرضيتها بسجادة كبيرة صفراء اللون ذات إطار أسود اللون ، ويشاهد سنان باشا جالساً على كرسى أزرق اللون ، بوجه ثلاثى الأرباع ، ذو لحية مشذبة وشارب طويل ، ويغطى رأسه عمامة كبيرة بيضاء اللون تعلوها ريشة سوداء ، يرتدى فوق بدنه قفطان بنى اللون تعلوه فرجيه حمراء اللون ، وعلى يسار سنان باشاً رسم الفنان ثلاثة من خواص السلطان ، مكتوفى الأيدى ؛ احتراماً وتقديراً للسلطان حليقو اللحية والشارب ، ويغطى رؤوسهم عمائم بيضاء اللون ، وقد تشابهت ملابسهم وإن اختلفت فى ألوانها مابين الأصفر والأحمر والأسود .

وعلى يمين القائد سنان باشاً رسم الفنان أحد الوزراء العثمانين متحدثاً إلى سنان باشاً ، رسم بوجه جانبى ذو لحية مشذبة وشارب طويل ، ويغطى رأسه عمامة بيضاء اللون ، يرتدى فوق بدنه رداء أحمر اللون ذو أكمام طويلة يصل فى طوله إلى القدمين ، وإلى الخلف منه رسم الفنان عدد كبير من الجنود من فرقة المشاه بكامل أسلحتهم ، وإلى الخلف منهم رسم الفنان مجموعة من المدافع تشبه المدافع التى تحيط بمعسكر سنان باشا ، وقد وجهت فوهاتها أيضاً نحو الحصن ، والذى نفذه الفنان على قمة التل الأوسط فى منتصف مؤخرة الصورة ، يحيط به سور مدعم بالأبراج الضخمة ، والتى تبدو منها ثلاثة فقط ويدعم هذه الأبراج مجموعة من فتحات المزاغل ، ويتوج هذه الأبراج قمم هرمية الشكل ، ويتوسط البرج الأوسط كتلة المدخل ، يتقدمها اثنين من جنود الإنكشارية ، كما يشاهد خلف سور الحصن عدد كبير من العثمانين وقد اختفت أجسامهم خلف رسم السور وتبدو رؤوسهم يغطيها عمائم بيضاء اللون ، كما رسم الفنان أربعة من الجنود العثمانين يرفعون الأعلام العثمانية على أبراج الحصن .

وخارج الحصن رسم الفنان عدد كبير من الجنود العثمانين من فرقة المشاه متجهين نحو معسكر القائد العثمانى، وقد سلك بعضهم الطريق المنكسر الخاص بالحصن والذى يقسم التلال الثلاثة إلى قسمين ، وقد اختفى جزء كبير من أجسام هؤلاء الجنود خلف رسم التلال ، وقد تنوعت أغطية رؤوسهم مابين عمائم بيضاء اللون وخوذات فولاذية من طراز المغفر وغطاء رأس الإنكشارية ، كما يبدو بعضهم يحملون الحراب الطويلة فى حين يظهر بعضهم يحملون الأعلام ، وقد رسم الفنان فوق قمم التلال الثلاثة التى مثلت منتصف الصورة مجموعة من الشجيرات الصغيرة خضراء اللون ، وتشتمل الصورة بأعلاها على كتابات باللغة التركية نصها كالتالى : " حاصلى بر بويله دير كتيرك كلوب ايرشدلر هله اينه دك " وترجمتها إلى العربية : الحاصل على هذا النحو: قال [١٤] احضروه فجاءوا ووصلوا به إلى المكان حتى أنزلوه . ولاتوجد علاقة بين النص والصورة.

المبحث الثانى : دراسة تحليلية ومقارنة

١- الدراسة التحليلية والمقارنة للمنشأت المعمارية بمدينة إبّ (موضوع الدراسة)

الحصن : جمع أحصان وحصون ، وقد ورد ذكر كلمة (حصون) في القرآن الكريم في سورة الحشر الآية رقم (٢) في قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ " ، كما ذكرت بسورة الحشر أيضاً ، الآيه رقم (١٤) :{ لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ} .

والحصن هو المكان المنيع الذي لا يقدر عليه لارتفاعه، وموضع حريز لا يوصل إلى ما فيه[١٥] ، ويكاد أن يضاهي مدينة صغيرة، ويحيط به سور من جميع جهاته، وقد يبنى على السور أبراج [١٦]، وقد أمدتنا تصاوير المخطوطات العثمانية بنماذج للحصون اليمنية ويشاهد ذلك لوحة رقم (١) ، واالتى توضح غزو بهرام باشا لحصن حب، والذى ورد ذكره بكتابات الرحالة والمؤرخين وتجمع المصادر على أن اسم حب (بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة المشدودة) وهو على زنة حب الطعام[١٧] ، أى أن مخازنها الأرضية كانت تملأ بالحبوب ، ويذكر المقحفى إن قسماً من المؤرخين يشيرون إلى أن سبب تسميته (حصن حب) لأنه كان المخزن الوحيد للحبوب فى الأزمنة القديمة [١٨] ، أما فى وصف الحصن فهو يقع على صخرة صماء ، يوجد فى وسطها شرخ ، يبدو وكأنه يفصلها إلى قمتين يربط بينهما ممر ويوجد فى النصف الغربى من الصخرة بركة ماء تسمى بركة النظارى ،أما النصف الثانى من الصخرة فيشتمل على معظم منشأت الحصن وبوابته ،ويتم الصعود إلى الحصن من جهة الشرق ،وهو طريق شديد الإلتواء ، ويوجد على جوانب الطريق كهوف صغيرة منحوته فى الصخر ، يبدو أنها كانت مخصصة للإستراحة ، ويحيط بالحصن سور ضخم يبلغ إرتفاعه (٨ م) ، ويدعمه مجموعة من الأبراج ، وفتح بالسور مجموعة من فتحات المزاغل ، وقد شيد سور الحصن على حافة الصخرة من جميع الجهات فيما عدا جهة الشمال لأن الصخرة بهذه الجهة تنحدر عمودياً وبشكل حاد إلى قاعدة الصخرة ، ويوجد بالحصن قصر يطلق عليه اسم (دار القفلة) يتكون من ثلاثة طوابق تحتوى على غرف نوم وحمامات ومساكن للحرس ، وهو آيل للسقوط ، كما يوجد قصر آخر فى الجهة الغربية من الحصن ، يطلق عليه (دار الساق) ، يتكون من طابقين ، ولكن تهدم جزء كبير منه ، ويوجد غرب قصر دار القفلة مسجد ذو قبة بيضاوية الشكل ، وفى أسفل المسجد يوجد ثلاثة حمامات بخارية، وبالقرب من المسجد توجد (دورات المياه) ، ويشتمل الحصن على وبركة الماء ، ثلاث برك كبيرة وبركتان صغيرتان ، والبرك الكبيرة موزعة على مساحة الحصن ، كما يوجد بالحصن خمسة عشر مخزناً[١٩] ،وهى عبارة عن كهوف نحتت داخل الصخور ، ولها مدخل من الجهة الشمالية ، وقد قسمت هذه المخازن من الداخل إلى غرف تفصل بينها عقود نصف دائرية ،

وتوجد لها فتحات على سطح المخزن ، كما يوجد مخزنان آخران جهة الجنوب ، وتذكر الروايات ان كثرة المخازن كانت تستخدم لتخزين الحنطة والشعير والذرة ، ويزود بها الناس أوقات القحط والمجاعة بشكل قروض يعيدها الناس إلى حاكم الحصن عندما يزول القحط ، ولذلك سمى حصن حب ، وقد اندثر الحصن ولم يتبقى منه إلا جزءاً من السور كما هو واضح فى لوحتى رقم (٤ ،٥) .

وأيضا لوحة رقم (٢) ، والتى توضح استيلاء سنان باشا على حصن التعكر، وهو أسم لجبل وحصن منيع يقع في جنوب مدينة جبلة ويطل أيضاً على مدينة إب من الجنوب وعلى مدينة ذي السفال ، وتذكر المصادر أن أساس حصن التعكر يعود إلى ماقبل ثلاثة ألف وخمسمائة سنة ، ووصفه الهمدانى بأنه أشهر جبال اليمن وأبعدُها صِيْتاً وأمنَعها حصانة وأعلاها شموخاَ ، وفيه مسجد " النبي الياس [٢٠] ، ويتم الوصول إلى باب الحصن عبر مجموعة من المدرجات الحجرية ، وكان يحيط بالحصن سوران : السور الأول فى قاعدة القمة التى بنى عليها جبل التعكر (يحيط بالقمة نفسها)، والثانى يحيط بالحصن نفسه ، ويضم الحصن مجموعة البرك المائية والمدافن ، والتى كانت عبارة عن غرف كبيرة تحت الأرض كان يتم استخدامها كمخزن للذخائر ، ويخصص بعضها للحبوب والطعام ، وقد تهدم الحصن الذى لعب دوراً هاما فى حماية المدينة وخاصة أثناء هجوم الأتراك ، ولم يتبقى منه سوى المدافن وبرك المياه (لوحتى رقم ٨ ، ٩)، والتى يبلغ عددها ثلاثة برك أكبرها التى تقع فى الجهة الغربية من الحصن ، أما المدافن فيبلغ عددها سبع مدافن ، ثلاثة منها متقاربة وعميقة جدا لدرجة أن السكان المحليون يطلقون على إحداها (مدفن جهنم) لعمقه الشديد ، هذا بالإضافة إلى بقايا أحجارمتماسكة مع بعضها البعض بواسطة القضاض .

المنشأت السكنية : ظهرت رسوم المنشأت السكنية الخاصة بإقامة الجند – فى التصاوير العثمانية موضوع الدراسة ، والتى تمتد بإرتفاع طابق واحد ، وسقف بأسقف مستوية ويتضح ذالك فى لوحة رقم (١) .

٢ – الدراسة التحليلية للعناصر المعمارية :

الأسوار : أحاطت بالحصون والقلاع ، بل وكانت جزءاً أساسياً منها ، حيث أن الحصن بدون السور لايمكن أن نطلق عليه حصناً ، ولزيادة مناعة السور بنيت فى كثير من الأحيان مزدوجة [٢١] ، وقد وردت بجميع التصاوير العثمانية موضوع الدراسة .

الأبراج : مفردها برج ، والبرج فى اللغة هو القصر المحصن والبرج أيضاً البيت الذى يبنى على سور المدينة أو القلعة ، والحصن الذى يكون مرتفع البناء مستديراً أو مربعاً يعتصم به المقاتلون[٢٢] ويقصد بالبرج فى المصطلح الأثرى بناء مرتفع فى سور القلعة ، الحصن ، المدينة أو الرباط ، ومنه مايبنى بالمدن الساحلية للإطلالة على البحر[٢٣] ، وردت بكثرة بالتصاوير العثمانية – موضوع الدراسة ، وتوجت بقمم هرمية الشكل.

المزاغل : عنصر معمارى يوجد بالأبراج وحجرات المدافعة بالأسوار، والممرات المغيبة بالأسوار ، وهى عبارة عن فتحات طولية تستخدم لرمى السهام على الأعداء، وتتسع هذه الفتحات من الداخل للسماح للرماة بالرمى بسهولة وتضيق من الخارج بحيث لا يستطيع الأعداء اصابة من بداخلها[٢٤] ، ومن أهم التصاوير التى اشتملت على رسوم المزاغل لوحة رقم (١) حيث يشاهد بأبراج وأسوار حصن حب فتحات مزاغل طولية الشكل .

السقاطات : عنصر معمارى يرد فى العمارة الحربية ، وهى عبارة عن فتحات دفاعية تمكن المدافع من إلقاء مواد كاوية كالزيت أو الزفت أو الماء المغلى من خلال فتحاتها على المهاجمين أثناء وجودهم تحت الأسوار مباشرة ، بالإضافة إلى تسديد السهام[٢٥] ، وقد ظهرت بكثرة بالتصاوير العثمانية – موضوع الدراسة ، ويتضح ذلك فى لوحتى رقم (٢ ، ٣) .

الخاتمة وأهم النتائج : يتضح من خلال النماذج السابقة أن المخطوطات العثمانية اقتصرت فقط على تصاوير الحصون التاريخية بمدينة إبّ ، والتى تمثلت فى حصن حب والتعكر ، وعلى الرغم من أن المدرسة العثمانية اتسمت بالواقعية فى الرسم وخاصة للمدن والبلاد التى سيطر عليها الجيش العثمانى، إلا أنه من خلال الدراسة الوصفية والدراسة المقارنة لهذه الحصون يتضح عدم واقعية هذه التصاوير ، وفى لوحتى رقم(٢ ، ٣) تتشابه هذه التصاوير مع القلاع الأوروبية حيث الأسقف الجمالونية والقباب المثلثة ، ولذلك يرجح عدم مشاهدة الفنان لهذه الحصون ، كما يرجح أن هذه التصاوير من عمل فنان أوروبى ، حيث كان يضم المرسم السلطانى عدد من الفنانين الأوروبين من جنسيات مختلفة .

لوحة رقم (١) غزو بهرام باشا لحصن حب (Habb) باليمن ، من مخطوط شاهنامة سليم خان ورقة (٩٠a) ، المؤرخ بعام (٩٨٨ هـ / ١٥٨١م) ، والمحفوظ بمتحف طوبقابي سراي باستانبول تحت رقم (A. ٣٥٩٥) عن : **FETVACI (EMINE)** , *THE PRODUCTION OF THE ŞEHNAME - I SELIM HAN , p.* ٣٠٣.

لوحة رقم (٢) استيلاء سنان باشا على حصن التعكر ، من مخطوط تاريخ فتح اليمن ورقة (١١٨b) ، مؤرخ بـ (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٤م) محفوظ بمكتبة جامعة استانبول تحت رقم (T ٦٠٤٥)

لوحة رقم (٣) الفتح العثمانى لمدينة إبّ ، من مخطوط تاريخ فتح اليمن ورقة (٥٣٧a) ، ، مؤرخ بـ (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٤م)، المحفوظ بمكتبة جامعة استانبول تحت رقم (T٦٠٤٥) عن : نور (حسن محمد) ، صور المعارك الحربية فى المخطوطات العثمانية ، لوحة (٩٣)

Atil (Esin), Turkish art ,Harry N Abrams , ١٩٨٠ , Pl. ٢٩.

لوحة رقم(٤) توضح بقايا سور حصن حب من الداخل

لوحة رقم (٥) للمقارنة توضح الحافة الصخرية بدون سور يقابلها من الجهة الاخري للسور ،عن: الأدهمي (محمد مظفر) ، تاريخ أب ، ص ٢٩٣، ٢٩٤

لوحة رقم (٦) توضح قمة جبل التعكر التي شيد عليها حصن التعكر عن : الأدهمي (محمد مظفر) ، تاريخ أب ، ص ٢٩٩.

لوحة رقم (٧) توضح بقايا حصن التعكر عن : الأدهمي (محمد مظفر) ، تاريخ أب ، ص ٣٠١.

لوحة رقم (٨) أحد مدافن الحصن

لوحة رقم (٩) توضح بقايا البرك المائية بالحصن ، عن : الأدهمي (محمد مظفر) ، تاريخ أب ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٦ .

حواشى البحث

[١] – الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى)، معجم البلدان، ج١ ، تحقيق مزيد عبد العزيز الجندى ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص ٧٢.

[٢] – الحجرى (محمد بن أحمد)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق :إسماعيل بن على الأكوع ، وزارة الإعلام ، اليمن ، ١٩٨٤م ، ١ / ٣١ .

[٣] – وادى السحول أو مخلاف السحول ترجع تسميته نسبة إلى السحول بن سواده بن عمرو بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن سهل بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ،والسحول كما يقول الحموى قرية من قرى اليمن تنتج ثياب قطن بيض تدعى السحولية ، ونقل البخاري فى صحيحة عن قول عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ، أنظر : الحموى ، معجم البلدان، ج ٣ ، ص ٢٢٠ .

[٤] - الأدهمي (محمد مظفر)، تاريخ أب دراسة تاريخية لمدينة إب وما حولها ، منشورات جامعة إب ، كلية الأداب ، ١٩٩٦م ، ص ١٤ .

[٥] – الأدهمي (محمد مظفر)، تاريخ أب دراسة تاريخية لمدينة إب وما حولها ، ص ١٥ .

[٦]– حصن حب : يقع بمنطقة أبّ ، ويرتفع فوق صخرة جبلية واسعة وشاهقة وسط منخفضات فسيحة وفى منطقة جبلية ، وقد أشارت المصادر التاريخية والجغرافية إلى قدم حصن حب ، فقد ذكر الجعدى فى طبقات فقهاء اليمن أن حصن حب " أساسه منذ ثمانمائة سنة " ،عن : الجعدى (عمر بن على بن سمرة)، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق : فؤاد سالم ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ١٥٩ .

[٧] - **FETVACI (EMINE)** THE Production OF the Sehname - I SELIM HAN , Muqarnas: An Annual On The Visual Cultures Of The Islamic World, VOL ٢٦ , BRILL , ٢٠٠٧., *p.* ٣٠٣.

[٨]– **بهرام باشاً** : تم تعينه فى الفتح العثمانى الثانى والياً لليمن أثناء إجراء مفاوضات الصلح مع المطهر بن الإمام شرف الدين وسنان باشاً ، وقد إرتبط إسمه بعهد توطيد الحكم العثمانى فى اليمن ، حيث عمل هذا الوالى على تحقيق وتنفيذ أهداف حملة سنان باشاً فى مراحلها الأخيرة ، ومن أهم الأعمال العمرانية التى قام بها بهرام باشاً باليمن ، بناء مدينة جديدة جنوب مدينة ذمار أطلق عليها (ملحظ) ، اتخذها مقراً لحكمه ، وكان تاريخ اخطاطه للمدينة فى العاشر من رمضان سنة ٩٧٨هـ / السابع من فبراير ١٥٧٠م ، ثم ضرب عملة نقدية عرفت باسم (الملحظية) ، وحرص على ترميم القلاع العثمانية فى مدينة حجة وحصن التعكر ، كما حرص على القيام ببعض الأعمال الخيرية ذات الصفة الدينية ، مثل زيارة الأضرحة ، والاشتراك فى المواسم الدينية ، وتوزيع الهدايا والصدقات على العلماء والفقهاء ، وحرص أيضاً على تمهيد طرق الجبال الوعرة وتوطئة العقبات وبناء الجسور على مجارى سيول الأمطار ، للمزيد انظر : سالم (سيد مصطفى)، الفتح العثمانى الأول لليمن ، (١٥٣٨–١٦٣٥) ، مهعد الجوية والدراسات العربية ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٩٩م ، ص ٤٧٦ ، ٣٧٧.

[٩] – حكم اليمن حوالى ثلاث سنوات من سنة (١٠١٣هـ – ١٠١٦هـ / ١٦٠٥ – ١٦٠٨م) ، وقام بالعديد من الأعمال الإنشائية التى ذكرها المؤرخون ، فقد عمل على فرش أرضية جامع صنعاء الكبير بالأحجار من الداخل،

وقام ببناء بركة كبيرة تحفظ الماء فى قرية القبتين فى الطريق بين صنعاء وتعز ؛ لشرب الدواب فى هذا الطريق ، وفى مدينة شهارة شمال صنعاء قام ببناء حصن الناصرة ، للإستزادة انظر: الثور (أمة الملك إسماعيل قاسم)، الولاة العثمانيون وأبرز أعمالهم الإنشائية فى فترتى الحكم العثمانى الأولى و الثانية لليمن ٩٤٥- ١٠٤٥هـ / ١٥٣٨- ١٦٣٥م ، ١٢٨٩- ١٣٣٦هـ / ١٨٧٢- ١٩١٨م ، مجلة جامعة الملك سعود ، مج ٢٢ ، السياحة والآثار عدد (٢) ، الرياض ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ، ص ١٢٩ .

[١٠] – مخطوط تاريخ فتح اليمن : هو كتاب منظوم يوضح فتح سنان باشاً لليمن ، ويفهم من قراءة المخطوط أن رموزى كان مشتركاً فى حملة سنان باشاً على اليمن ، ويحتمل أن يكون قد عمل كاتباً له ، وخط مخطوطه هذا بناء على أمر الباشا ، وقد أشار رموزى فى كتابه هذا إلى زيارة سنان باشاً للحجاز ، ولهذا المخطوط ثلاث نسخ كما يلى :

١- روان رقم (١٢٩٧) وهى من القطع الكبيرة على أربعة أعمدة و ٢٠٥ ورقة .

٢- مكتبة جامعة إستانبول ، مخطط تركى رقم (٦٠٤٥) وهى فى ٦٨٨ ورقة محلاة بالمنمنمات الملونة البديعة ، كما تشمل خريطة لشمال مصر (الدلتا) على صفحتين . (وهى موضوع الدراسة) .

٣- ملت (على أميرى) رقم ١٣١١ ، وهى بعنوان فتوح يمن لرموزى فى أربعين ورقة ، عن : حرب (محمد)، كتب الفتوح العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ منطقة الخليج والجزيرة العربية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، المجلد (٦) ، عدد (١٨) ، ١٩٨٦م ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

[١١] – هو من شوامخ الجبال فى اليمن وحصن من الحصون الشهيرة ، ويطل من بعيد على مدينة إبّ من جهتها الجنوبية ، وتقع فى قاعدته مدينة جبلة أو ذى جبلة ، ويبلغ ارتفاعه حوالى ٣٠٠٠ متراً فوق سطح البحر ، ولذلك عُدّ حصنه المسمى باسمه من المعاقل المنيعة فى منطقة إبّ خاصة واليمن عامة ، عن : الأدهمى (محمد مظفر)، تاريخ إبّ دراسة لمدينة إبّ وما حولها ، ص ١٥٧- ١٥٩ .

[١٢]– هذه الترجمة عن أ. منى حسين مديرة مكتب الفاتح للغات و الترجمة .

[١٣] – نور (حسن محمد) ، صور المعارك الحربية فى المخطوطات العثمانية ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩م ، لوحة (٩٣)

Atil (Esin), Turkish art ,Harry N Abrams , ١٩٨٠ , Pl. ٢٩.

[١٤] – (الفاعل والمفعول مجهول) ، وهذه الترجمة عن : أ/ منى حسين ، مديرة مكتب الفاتح للغات والترجمة .

١٥ ـ رزق (عاصم محمد) ، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مكتبة مدلوبي ، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣م ، ص ٨١ .

[١٦] – عباس (فائزة حمزة) ، المظاهر العسكرية في المدن الأندلسية، مجلة أبحاث الكلية ، العدد(١)، المجلد (١٢) ، جامعة الموصل ، العراق ، ٢٠١٢م ، ص ٤٨٦ .

[١٧] – الهمداني (أبو الحسن بن أحمد بن يعقوب) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى ، صنعاء ، ١٩٩٠م ، ص ٢٠٠ .

[١٨] – الجعدي (عمر بن علي بن سمرة)، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سالم ، بيروت، ١٩٨١م ، ص ١٥٩.

[١٩] – الأدهمي (محمد مظفر)، تاريخ أب دراسة تاريخية لمدينة إب وما حولها ، ص ١٢٤ .

[٢٠] – الهمدانى (الحسن بن أحمد) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد على الأكوع ، مركز الدراسات ، صنعاء ، ١٩٩٠م ، ص ٢٣٨ .

- اليمانى (محمد بن أحمد الحجرى) : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق : اسماعيل بن على الأكوع ، الطبعة الثانية ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، ١٩٩٦م، ج٣ ،ص ٣٤ – ٣٧ .

[٢١] – نويصر (حسنى)، الآثار الإسلامية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ١٣٨ .

[٢٢] – رزق (عاصم محمد)، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مكتبة مدلوبي، القاهرة، ٢٠٠٠م ، ص ٣٤ .

[٢٣] – رزق (عاصم محمد)، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية ، ص ٣٤ .

[٢٤] – العمرى (أمال) ، الطايش (على)، العمارة فى مصر الإسلامية ، ١٩٦٦ م ، ص ١٩ ، ٢٠ .

[٢٥] – ثوينى (على)، معجم عمارة الشعوب الإسلامية ، ط١ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٥م ، ص ٤٠٤ .

– على (فاروق محمد)، الاستحكامات الدفاعية فى تخطيط المدن والعمارة العربية الإسلامية فى العراق حتى نهاية العصر العباسى ، رسالة دكتوراه ، بغداد ، ٢٠٠٦م ، ص ١٥٧ .